تل السمك



تل السمك في حيفا: مدينة الأرجوان الفينيقية عند سفح الكرمل

تل السمك تلّ أثري على رأس صخري بين جبل الكرمل والبحر الأبيض المتوسط، عند الطرف الجنوبي لمدينة **حيفا**، سكنه الإنسان بشكل شبه متواصل من العصر البرونزي المتأخر، نحو 1600 قبل الميلاد، حتى القرن السابع الميلادي. واشتهر التل بأنه أحد أكبر مراكز صناعة **الصبغ الأرجواني** في المشرق، إذ عُثر فيه على أكبر مجموعة من الأواني الملطخة بالأرجوان من العصر الحديدي في حوض المتوسط، وفي العصرين الروماني والبيزنطي قامت عليه مدينة يُرجّح أنها "بورفيريون"، أي "مدينة الأرجوان"، تزين بيوتها أرضيات الفسيفساء. يتناول هذا الدليل تاريخ التل وصناعته ومكتشفاته.

جدول المحتويات

1. معلومات سريعة
2. التسمية
3. الموقع
4. التاريخ عبر العصور
5. صناعة الأرجوان
6. المدينة الرومانية والبيزنطية
7. من تل السمك إلى حيفا العربية
8. التل اليوم (2026)
9. الأسئلة الشائعة
10. المصادر والمراجع

معلومات سريعة

تل السمك في سطور

الاسم بالإنجليزية	Tell es-Samak, Haifa
معنى الاسم	"تل السمك"
الموقع	رأس صخري بين الكرمل والبحر، جنوب حيفا
المساحة	نحو ثمانية دونمات
فترة الاستيطان	من نحو 1600 ق.م حتى القرن السابع الميلادي
العصر البرونزي المتأخر	معبد ساحلي محتمل
العصر الحديدي	مركز ضخم لصناعة الصبغ الأرجواني (القرن 10–7 ق.م)
العصر الروماني والبيزنطي	برك صباغة وفيلات بأرضيات فسيفساء
الاسم القديم المرجّح	بورفيريون، "مدينة الأرجوان"
الهجر	القرن السابع الميلادي

التسمية

يحمل التل اسمه العربي **"تل السمك"** لموقعه على البحر وارتباطه بالصيد. وفي العصرين الروماني والبيزنطي يرجّح

الباحثون أن المدينة القائمة عليه كانت تُعرف باسم **"بورفيريون"**، المشتق من الكلمة اليونانية للأرجوان، تعبيرًا عن الصناعة التي اشتهر بها، فيما عُرفت المنطقة كذلك باسم "سيكامينون".

الموقع

يقع التل على رأس صخري بين سفح جبل الكرمل والبحر الأبيض المتوسط، عند الطرف الجنوبي لمدينة حيفا، جنوب دير ستيلا ماريس ومنارته. ومنح هذا الموقع المحمي على الساحل سكانه القدماء مرفأً طبيعيًا وموردًا وفيرًا من حلزون الموريكس البحري الذي يُستخرج منه الصبغ الأرجواني.

التاريخ عبر العصور

- **العصر البرونزي المتأخر (نحو 1600–1200 ق.م):** يُرجّح أن الموقع كان معبدًا ساحليًا أو بحريًا، استنادًا إلى مكتشفات فريدة منه.
- **العصر الحديدي (القرن 10–7 ق.م):** تحوّل التل إلى مركز صناعي ضخم لصبغ الصوف بالأرجوان، بطابع فينيقي، مع مبانٍ وأسوار دفاعية ومعاصر زيتون.
- **القرون 6–4 ق.م:** استمر الاستيطان في التل في العهد الفارسي.
- **العصر الروماني (القرنان 3–4م):** أُقيمت برك صناعية للصباغة.
- **العصر البيزنطي (القرنان 4–5م):** بُنيت فيلات فاخرة بأرضيات الفسيفساء.
- **القرن السابع الميلادي:** هُجر الموقع.

صناعة الأرجوان

كان **الصبغ الأرجواني** المستخرج من حلزون الموريكس البحري من أثمن السلع في العالم القديم، ولونًا للملوك والنخب، واشتهر به الفينيقيون والكنعانيون على ساحل المشرق. وفي تل السمك عُثر على عدد غير مسبوق من الأواني الفخارية الملطخة بالأرجوان من العصر الحديدي، يُعد أكبر مجموعة من نوعها في حوض المتوسط، وهي جرار سميكة الجدران تحمل آثار السخام من تسخينها خلال الصباغة. وكشف التحليل أن مصدر الصبغ حلزون "الموريكس". كما عُثر في مخزن واحد على أكثر من 200 ثقالة نول و60 فلكة مغزل، مما يدل على قوة عاملة كبيرة تغزل الصوف لصبغه. وازدهرت الصناعة بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد، وتوقفت قرب نهاية القرن السابع ق.م، ربما بسبب الاضطرابات التي رافقت الغزوين الآشوري والبابلي. وتكشف الفخاريات القبرصية الكثيرة عن صلات تجارية واسعة مع قبرص.

المدينة الرومانية والبيزنطية

عادت صناعة الأرجوان إلى التل في العصر الروماني، إذ كُشف عن برك صناعية من القرنين الثالث والرابع الميلاديين، فيها تربة ملطخة بالأرجوان وأصداف موريكس، وبركة صخرية بسدود يُرجّح أنها استُخدمت لحفظ الحلزون. وفي القرنين الرابع والخامس بُنيت فيلات فاخرة بأرضيات **الفسيفساء** والمنحوتات، تدل على ثراء ربما جاء من تجارة الأرجوان، ما دفع الباحثين إلى ترجيح أن المدينة هي "بورفيريون". وهُجر الموقع في القرن السابع الميلادي.

من تل السمك إلى حيفا العربية

على مقربة من التل نشأت لاحقًا "حيفا العتيقة"، البلدة العربية الصغيرة على الساحل، قبل أن يبني الشيخ ظاهر العمر الزيداني في القرن الثامن عشر حيفا الجديدة إلى الشرق منها، فصارت المدينة التي نعرفها. ومن الكنعانيين، أول من سكن مناطق حيفا وعمّرها، إلى حيفا العربية التي هُجّر نحو 95% من أهلها في نيسان 1948، يشهد تل السمك على تاريخ متواصل لهذا الساحل الفلسطيني.

التل اليوم (2026)

يبقى تل السمك موقعًا أثريًا مفتوحًا على شاطئ حيفا الجنوبي، تظهر فيه بقايا المباني والأسوار وأرضيات الفسيفساء، فيما نُقلت معظم مكتشفاته إلى المتاحف. ويُقدَّم الموقع للزوار في الغالب بمعزل عن تاريخ حيفا العربي، رغم أنه جزء من طبقات تاريخ مدينة فلسطينية ما زال أبناؤها المهجّرون يطالبون بالعودة إليها.

الأسئلة الشائعة عن تل السمك

أين يقع تل السمك؟

على رأس صخري بين جبل الكرمل والبحر الأبيض المتوسط، عند الطرف الجنوبي لمدينة حيفا.

بماذا اشتهر تل السمك؟

بصناعة الصبغ الأرجواني من حلزون الموريكس، إذ عُثر فيه على أكبر مجموعة من الأواني الملطخة بالأرجوان من العصر الحديدي في حوض المتوسط.

متى سُكن تل السمك؟

من العصر البرونزي المتأخر، نحو 1600 ق.م، حتى القرن السابع الميلادي.

ما اسم المدينة البيزنطية في تل السمك؟

يرجّح الباحثون أنها "بورفيريون"، أي "مدينة الأرجوان"، نسبةً إلى صناعتها.

هل في تل السمك فسيفساء؟

نعم، أرضيات فسيفساء من فيلات العصر البيزنطي في القرنين الرابع والخامس الميلاديين.

الخاتمة

عند سفح الكرمل، على صخرة يضربها موج المتوسط، صبغ أهل تل السمك الصوف بالأرجوان قبل ثلاثة آلاف عام، ثم شيّدوا فيلات الفسيفساء في "مدينة الأرجوان". ويبقى التل شاهدًا على عمق تاريخ ساحل حيفا، وعلى أن هذه الأرض كانت منذ الكنعانيين والفينيقيين مهدًا لحضارة لم تنقطع.

المصادر والمراجع

- فلسطين 48 – حيفا
- إسلام أونلاين – تاريخ مدينة حيفا
- مجلة Archaeology (المعهد الأثري الأمريكي) – 2020) The Price of Purple)
- جامعة هارفارد – مشروع وايت–ليفي: تل السمك، معبد العصر البرونزي المتأخر وصناعة الأرجوان في العصر الحديدي
- موسوعة الجزيرة – حيفا.. مدينة المساجد والكنائس (حزيران 2024)

آخر تحديث: 19 تشرين الأول 2026